علم ليس يدركه الا الذى جمع الاطراف والوسطا له النفوذ به فى كل نازلة كونية فيه فى العالمين سطا
وان اراد بشخص نقمة قبضا وان اراد بشخص نعمة بسطا ان اقسط الخلق فى ميزان رحمته بالعالمين
تراه فيه قد قسطا اعلم انه لما كانت الخواتم اعيان السوابق علمنا ان الوجود فى الصورة دايرة انعطف
ابدها على ازلها فلم يعقل الاله الا وعقل المالوه ولا عقل رب الا وعقل المربوب ولكل معقول رتبة
ليست عين الاخرى كما نعلم ان بين الخاتمة والسابقة تميزا معقولا به يقال عن الواحدة سابقة وعن الاخرى
خاتمة وانما قلنا ان الخاتمة عين السابقة انما ذلك فى الحكم على المحكوم عليه وبالمحكوم عليه تبينت الخاتمة من
السابقة واعلم ان الاعراس على قسمين عرس لعقد وعرس لعقد ودخول وعرس بدخول بلا عقد والعقد
عبارة عما يقع عليه رضى الزوجين والدخول وطى لوجود لذة او لايجاد عين ودخول بلا عقد عرس الاماء ولما
لم يكن فى الانكحة افضل من نكاح الهبة لانه لا عن عوض كالاسم الواهب الذى يعطى لينعم اختص به لفضله
افضل الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم تعالى وامراة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها
خالصة لك من دون المومنين وكل نكاح خارج عما ذكرناه فهو سفاح لا نكاح اى هو بمنزلة الشى السايل
الذى لا ثبات له لانه لا عقد فيه ولا رباط ولا وثاق ثم نرجع ونقول فاما الخواتم فتعينها الاجال ولو
لا ذلك ما كان لشى خاتمة لان الخاتمة انتهاء فى الموصوف بها ولكل خاتمة سابقة ولا ينعكس فمن
نظر الى دوام تنزل الامر الالهى واسترساله قال ما ثم خاتمة ومن نظر الى الفصل بين الاشياء فى التنزل
قال بالخواتم فى الاشيا لكون الفصول تبينها مثل ذلك ولكن كل هذا فى عالم الانقسام والتركيب فاذا
نظرت فى القرآن مثلا بين الكلمتين والايتين والسورتين فنقول عند وجود الفصل المميز
بين الامرين فان وقع بين كلمتين فخاتمة الاولى حرف معين وان كان ايتان فخاتمة الاولى كلمة معينة
وان كان سورتان فخاتمة الاولى اية معينة وان كان امر حادث قيل اجله كنا فى الدنيا لان كل
ما فى الدنيا يجرى الى اجل مسمى فتنتهى فيه المدة بالاجل فخاتمة ذلك التى ما ينتهى اليه حكمه فانتهاء
الانفاس فى الحيوان آخر نفس يكون منه عند انتقاله الى البرزخ الى الفصل بينه وبين البعث ثم
تنتهى المدة فى القيامة الى الفصل بينها وبين دخول الدارين ثم تنتهى المدة فى النار فى حق من هو
فيهما من اهل الجنة الى الفصل الذى بين الاقامة فيها والخروج منها بالشفاعة والمنة ثم تنتهى المدة
فى عذاب اهل النار الذين لا يخرجون منها الى الفصل بين حال العذاب وبين حصول حكم الرحمة التى وسعت

كل شئ

١٧٣

كل شئ فيهم فيتنعمون فى النار باختلاف امزجتهم كما قد ذكرناه ثم لا يبقى بعد ذلك اجل ظاهر
بالمدة ولكن آجال خفية دقيقة وهو ان المحدث الدايم العين من شانه تقلب الاحوال عليه لما يلزمه
الافتقار الى دوام الوجود له دايما فلا تفارقه احواله الآجال فلا يزال فى احواله بين سابقة وخاتمة واما الايمان
فسابقته لا اله الا الله وخاتمته اماطة الاذى عن الطريق فعبر الشارع عن السابقة بالاعلى وعن الخاتمة بالادنى
فلا اعلى فى الايمان من التوحيد ولا ادنى فيه من اماطة الاذى عن الطريق ومن ذلك طريق التوحيد فان الاذى الذى
فى طريقة الشرك الجلى والخفى فالخفى الاسباب وهى بين خفى واخفى فالاخفى الاسباب الباطنة والخفى
الاسباب الظاهرة والجلى نسبة الالوهة الى المحدثات فيميط الموحد هذه كلها عن قلبه وقلب غيره فانها
اذى فى طريق التوحيد وكل اذى فى طريق من طرق الايمان بحسب الصفة التى تسمى ايمانا فما يضادها يسمى
اذى فى طريقها فالذى يزال به الاذى من تلك الصفة المعينة هو خاتمة تلك الصفة كان ما كان
ولا خاتمة لحكم الله فى عباده بالجملة والاطلاق ولا سابقة فان العدم الذى للممكن المتقدم على وجوده لم
يزل مرجحا له بفرض الوجود الامكانى له فلا سابقة له وهو علم دقيق خفى تصوره سهل ممتنع لانه
سريع التفلت من الذهن عند التصور فليس الحدوث للممكن الا من حيث وجوده خاصة عند
جميع النظار وعندنا ليس كذلك وانما الحدوث عندنا فى حقه كون عدمه ووجوده لم يزل مرجحا على كل
حال لانه ممكن لذاته وان كان بعض النظار قد قال حدوثه ليس سوى امكانه ولكن ما بين هذا الذى
بينته فى ذلك فتطرق الاحتمال الى كلام هذا الحاكم فانه يحتمل ان يكون عنده من اسماء الترادف فيكون كونه
يسمى حادثا كونه يسمى ممكنا ويحتمل ان يريد ما اردناه من كون العدم الذى يحكم عليه به انه لذاته
هو عندنا مرجح لم يزل فان توسعنا فى العبارة مع النظار لم نقل ان عدم الممكن لنفسه لانه لو كان العدم
له نفسيا لاستحال وجوده كما يستحيل وجود المحال ولكن كنا نقول بقدم العدم له على الوجود لذاته لا العدم
وبينهما فرقان عظيم ولكن ليس مذهبنا فيه الا ان عدمه لم يزل مرجحا فوجود الممكن له سابقة لكونه لم يكن
ثم كان ولكن من حيث عينه اذا كان قايما بنفسه لا من حيث صورته فلا خاتمة له فى عينه وله الخواتم
فى صورته بالامثال والاضداد فكل حادث سوى الاعيان القايمة بانفسها فله سابقة وخاتمة
لكن سابقته عين خاتمته لانه ليس له فى كونه غير زمان كونه خاصة ثم ينعدم لنفسه وانما تميز
السابقة فيه من الخاتمة بالحكم فنحكم عليه بالوجود فى السابقة وبالعدم فى الخاتمة وفى عينه سابقته عين

Copyright King Saud University